الدرس الخامس والعشرون

تفسير سورة الجن [٢١ :٢٨]

{قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (٢٣) حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا (٢٤) قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا (٢٥) عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨)}.

﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾[الجن:٢٠-٢٢].

النبي ﷺ يَطَّرِح بين يدي ربه ويتنصل ويبرأ من ادعاء خصائص الربوبية، فأين أولئك الذين يطلبون من النبي ﷺ النفع أو الضر، يدعونه من دون الله كما يدعون الله ﷻ! فكيف بمن دونه ﷺ؟ وقد امتثل ﷺ أمر ربه فقال على جبل الصفا: (يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، يَا صَفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ)[1].

([1]) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٥)، ومسلم رقم (٢٠٥)، واللفظ له.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾[الجن:٢١-٢٢].

﴿ مُلْتَحَدًا ﴾، أي: ملجئًا وملاذًا، ومعاذًا.

﴿إِلَّا بَلاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ﴾[الجن:٢٣].

يعني: لا شيء من ذلك سوى إنني مبلغٌ عن الله تعالى ما أمرني به، فوظيفتي هي الرسالة، فما أنا إلا بشرٌ مثلكم لا أملك شيئًا من خصائص الربوبية ولا حقوق الألوهية غير أني أبلغ رسالات ربي، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾[فصلت:٦]، فالفارق هو الوحي الذي أُمِرَ بتبليغه.

قيل: إن (إلا) الاستثناء متعلق بقوله لن يجيرني من الله إلا أن أقوم بالبلاغ فأنجو.

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[الجن:٢٣].

﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾، وهذا يدل على أن العصيان كغيره من الألفاظ ينقسم إلى أصغر وأكبر، وأن العصيان المذكور هنا هو العصيان المطلق، لا مطلق العصيان فليس كل عصيانٍ يترتب عليه خلودٌ في النار فضلًا عن التأبيد. وهذه الآية واحدةٌ من ثلاث آياتٍ في القرآن العظيم يذكر الله تعالى فيها تأبيد الكافرين في النار.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

فالمعصية هنا المراد بها المعصية الكبرى التي هي الكفر بالله تعالى، أمَّا ما دون ذلك فإنه قد دلت الآيات المحكمات على أنه تحت المشيئة والإرادة، فأمَّا اللمم وهو صغائر الذنوب فالله يغفره، وأمَّا كبائر الإثم فقد قال ربنا ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[النساء:٤٨]، وجميع الألقاب المنافية للإيمان تنقسم إلى أكبر وأصغر وهي (الشرك، والكفر، والنفاق، والضلال، والجهل، والفسق، والمعصية، والبدعة، والعصيان)، فالأكبر منه مخرجٌ عن الملة، والأصغر لا يخرج عن الملة، والأكبر منه لا يغفره الله تعالى أبدًا، والأصغر تحت المشيئة والإرادة إن شاء الله غفر لصاحبه وإن شاء عذبه، ومآله إلى الجنة.

قوله: ﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ يعني إذا تحقق وقوع ذلك كقول الله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾[الأعراف:٥٣]، فهم سيقرون حتمًا يوم القيامة بهذا الذي أنكروه في الدنيا.

قوله: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾[الجن: ٢٤]، ولا ريب أنهم لا ناصر لهم، ولا عدد لهم، ولا عُدة، فيفنى كل ما في أيديهم من ناصرٍ ومعين.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾[الجن:٢٥].

﴿إِنْ أَدْرِي﴾ أي: لا أدري، ﴿ أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ ﴾، {أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا} [الجن: ٢٥]، أي أجلاً طويلًا ممتدًا وهو يدل على أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب خلافًا

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

لما يدعيه الغلاة، في حق النبي ﷺ ويخلعون عليه أوصافًا لا تنبغي إلا لله، كقول صاحب البُردة:

فإنَّ من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم.

فلا ريب أن هذا غلوٌ قبيح، وقد قال النبي ﷺ: (لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ)[٢]، فهو لا يعلم ﷺ من الغيب إلا ما أطلعه الله عليه، وإلا فإنه كسائر الناس، وشواهد هذا كثيرة.

والغلاة الذين يدعون محبة النبي ﷺ ويستزلهم الشيطان بذكر مدائح وتوشيحات، ونظم القصائد في الموالد، ويقولون شيئًا لو سمعه النبي ﷺ لأنكر عليهم. حتى أنه قال: (مَفَاتِيحُ الغَيْبِ خَمْسٌ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾[لقمان:٣٤])[٣]، فهذه لا يعلمها إلا الله ﷻ، فمن نسب إلى النبي ﷺ شيئًا من هذه العلوم الغيبية فقد قال على الله وعلى رسول الله بغير علم.

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾[الجن:٢٦].

ضنَّ ربك بعلم الغيب، الله تعالى أظهر لنا الشرع وأخفى عنا الغيب.

﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾[الجن:٢٦-٢٧].

---

(٢) أخرجه البخاري رقم (٣٤٤٥).
(٣) أخرجه البخاري رقم (٤٧٧٨).

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

يعني من رسولٍ ملكي أو رسولٍ بشري، ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾[الجن: ٢٧]، أي: حرسًا فأن الله ﷻ يحفظه ويحوطه ويصونه بما يمنع استراق السمع منه، حتى يتم البلاغ المبين.

﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾[الجن:٢٧-٢٨].

﴿لِيَعْلَمَ﴾ قال بعض المفسرين: أي ليعلم النبي ﷺ، أن الملائكة الموكلين بالوحي، وهو جبريل عليه السلام أنه قد بلغ الرسالة، وأنها لم تتعرض لزيادةٍ ولا نقصان، ولا تحريفٍ، ولا تغيير، وقيل: أن معنى ﴿لِيَعْلَمَ﴾ أي: ليعلم الله ﷻ تحقق معلومه، لا أنه قد طرأ عليه علم لم يكن؛ بل هو ﷻ قد علم منذ الأزل، لكنه يعلم حصول ذلك وتحققه في الواقع.

﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾، يعني أنه علم جميع ما يتصل بهم مما بين أيديهم وما خلفهم، وسرهم وجهرهم،﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾، فلا يفوته شيءٌ ﷻ قد أحصاه عددًا، فلا يخرج عن علمه ولا قدرته شيءٌ من الأشياء.

الفوائد المُستنبطة:

الفائدة الأولى: توجس الجن من وقوع حدث في الأرض لتشديد الحراسة في السماء.

الفائدة الثانية: حفظ الله لوحيه وكتابه.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

الفائدة الثالثة: كمال أدب مؤمني الجن بإضافة الشر إلى ما لم يسمّ فاعله، وإضافة الخير إلى الله صريحًا.

الفائدة الرابعة: تفاضل الجن أنفسهم في الصلاح والإيمان.

الفائدة الخامسة: أن الظن يأتي بمعنى اليقين.

الفائدة السادسة: كمال قدرة الله على جميع مخلوقاته.

الفائدة السابعة: قيام الحُجَّة بسماع الحُجة على وجهٍ صحيح، فمن بلغته الحجة وبلغه الدليل فقد قامت عليه الحُجة، يكفي مجرد السماع ولا حاجة أن يقال لا بُدَّ من الفهم.

إذا سمعها على وجهٍ صحيحٍ يفهم مثله فقد قامت عليه الحُجة الرسالية؛ لأنَّ الله بعث رسله مبشرين ومنذرين، فالواجب عليهم البلاغ، وقد قال النبي ﷺ: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ)(٤)، فهي تقوم بالسماع على وجهٍ صحيح، أمَّا لو بلغته الحُجة بلغةٍ غير لغته لا يدركها، فهذا وجوده كعدمه.

الفائدة الثامنة: مشروعية التحدث بنعم الله لا على وجه المباهاة والرياء.

الفائدة التاسعة: أن الإيمان يُثمر الأمان من البخس والعنت.

الفائدة العاشرة: تمايز الجن إلى مسلمين وكفار كما الإنس.

---

(٤) أخرجه مسلم رقم (١٥٣).

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

الفائدة الحادية عشرة: نجاة المسلم لتحريه الرشد، وهلاك القاسط لتحريه الغي.

الفائدة الثانية عشرة: ثمرة الاستقامة على الطريقة الحقة في الدنيا والآخرة.

الفائدة الثالثة عشرة: شؤم الإعراض عن ذكر الله وكتابه وتوحيده والإيمان به.

الفائدة الرابعة عشرة: بركة الاستقامة، وآثارها الدنيوية.

الفائدة الخامسة عشرة: أن الإنعام يكون للابتلاء.

الفائدة السادسة عشرة: شؤم الغفلة والإعراض عن ذكر الله وشدة عقوبة المعرضين.

الفائدة السابعة عشرة: وجوب توحيد العبادة.

الفائدة الثامنة عشرة: أن أشرف ما في الصلاة السجود.

الفائدة التاسعة عشرة: شرف المساجد وشرف أعضاء السجود.

الفائدة العشرون: أن الدعاء هو لب العبادة.

الفائدة الحادية والعشرون: أن دعاء غير الله شركٌ مخرج عن الملة ولو قل.

الفائدة الثانية والعشرون: وصف النبي ﷺ بالعبودية، وأن هذا من أشرف أوصافه. حيث أضافه الله إليه إضافة تشريف، فالعبودية كمال وأكمل الناس عبودية الخليلان إبراهيم ومحمد عليهم صلوات الله وسلامه؛ فلهذا، وصفه الله تعالى

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

بالعبودية في أشرف مقاماته في ليلة الإسراء والمعراج، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾[الإسراء:١]، وفي حالة تنزل القرآن ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾[الفرقان:١]، وفي حالة الدعوة إلى الله ﷻ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾[الجن:١٩]، فوصفه بالعبودية أعظم شرف، فشرف الإنسان بمقدار عبوديته لله.

ومما زادني شرفاً وتيها وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيَّرت أحمد لي نبيا

الفائدة الثالثة والعشرون: حرص مؤمني الجن على الهدى واستماع القرآن وتنافسهم عليه.

الفائدة الرابعة والعشرون: كمال توحيده ﷺ لربه في دعائه.

الفائدة الخامسة والعشرون: براءته ﷺ من ادعاء خصائص الربوبية.

الفائدة السادسة والعشرون: إبطال شبهات مشركي زماننا الذين يدعون النبي ﷺ ويطلبون منه الشفاعة.

الفائدة السابعة والعشرون: كمال افتقار النبي ﷺ لربه واضطراره إليه.

الفائدة الثامنة والعشرون: بيان ما اختص به النبي ﷺ، وهي الرسالة.

الفائدة التاسعة والعشرون: أن العصيان نوعان أكبر وأصغر، فالموجب للخلود هو العصيان المطلق.

الفائدة الثلاثون: إثبات خلود أهل النار فيها على سبيل التأبيد، وأنهم لا يخرجون منها.

الفائدة الحادية والثلاثون: تحقق وعيد الله قطعًا.

الفائدة الثانية والثلاثون: فناء الناصر والمعين للكافر يوم القيامة.

الفائدة الثالثة والثلاثون: اختصاص الله بعلم الغيب عمومًا وعلم الساعة خصوصًا.

الفائدة الرابعة والثلاثون: إطلاع الله من شاء من رسله على ما شاء من علم الغيب.

الفائدة الخامسة والثلاثون: حفظ الله لغيبه ووحيه من مسترقي السمع، وعصمته لرسله المبلغين له.

الفائدة السادسة والثلاثون: أن علم الله علمان، علمه الأزلي وعلمه بحصول معلومه.

الفائدة السابعة والثلاثون: إحاطته سبحانه بكل شيءٍ علمًا.

الفائدة الثامنة والثلاثون: إحصاؤه سبحانه كل شيءٍ عددًا.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله